الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعةمحمد بوضياف بالمسيلة

الكلية :الآدابواللغات

القسم: اللغة والآداب العربي

عنوان الليسانس:الأدب العربي **الشعبة: دراسات أدبية**

التخصص: أدب عربي

السنة الثالثة

السداسي :الخامس

المادة :جماليات السرد العربي القديم

محاضرات في مقياس:

جماليات السرد العربي القديم

الأستاذة: دربالي وهيبة.

جامعةمحمد بوضياف بالمسيلة

السنة الجامعية-2021-2022

عنوان المحاضرة–أثر السرد العربي القديم في الآداب الغربية:

إن الحديث عن أثر السرد العربي القديم في الآداب الغربية،وذكرمظاهر هذا التأثير والتأثر،وتجلياته في النصوص السردية الغربية هو مجال بحث الدراسات المقارنة،ومازال هذا المجال مفتوح للبحث المستمر،وفيمايلي سنركز على أهم مظاهر تأثر الآداب الغربية بالنصوص السردية العربية القديمة :

أولًا–أثر المقامات العربية في القصص الغربية الحديثة :

نجد صدى الكتابات السردية العربية القديمة في الآداب الغربية الحديثة،وكانت حكايات المقامات العربية مصدر إبداع لمعظم القصص الغربية الحديثة،ولقدوُجدت مظاهر المقامات العربية في السردية الأوروبية الحديثة، وكان السرد الإسباني في طليعة المتأثرين بها .

1_ ترجمة المقامات العربية إلى اللغات الأوروبية :

حظيت الكثير من النصوص السردية العربية القديمة بترجمات أوروبية، ومنها على سبيل المثال المقامات العربية ، وهناك أدباء تأثروا بأسلوب الهمذانيفي المقامة ، ومن أبرزهم الحريري الذي «صيَّر فن المقامات شريعة أدبية، وقد انتشرت مقاماته في جميع الأقطار العربية،وصارت مضرب المثل في الفصاحة والبيان».

في البداية نذكر أهمية الترجمات الأوروبية للمقامات العربية،والتي كان لها الأثر الإيجابي في الأدباء«وقد تابع د.محمد غنيمي هلال مسألة انتقال المقامات إلى الآداب الأوربية عبر مراحل،ومنها:

1–بعض الأدباء من كتاب العرب الإسبانيين،قد ألفوا مقامات على غرار مقاماته الهمذاني والحريري.

2–ترجمت مقامات الحريري في بلاد الأندلس إلى اللغة العبرية.

وتابع محقق مقامات الحريري في مقدمته ترجمتها إلى اللغات الأوربية الحية،وقام المستشرق الهولندي"فانتورديبارادى"بنقل منتخبات من سبع عشرة مقامة إلى اللاتينية».

كانت الترجمات الإسبانية للمقامات العربية محط أنظار الأدباء في أوروبا،ونجد أن ترجمةالمستشرق "فانتورديبارادى" للمقامات العربية هي انتقائية،حيث اختار بعض النصوص المقامية ، وترجمتها إلى اللغةاللاتينية«وتدرس مقامات الحريري في جامعة الصوربونالفرنسية،وشرحهاالمستشرقالفرنسي"سيلفيستردوساسي"وينتقدعليها أدباء الإفرنج من جهة قصر المقامات،وعدم الاعتناء المؤلف في تصوير الحكايات،وتشخيصها على نسق ما ألفه الإفرنج أو اليونان قديمًا،وإنما صرف الحريري عنايته إلى سبك الألفاظ».

كانت ترجمة مقامات الحريري إلى اللغة الفرنسية محل دراسات أكاديمية،ومنها دراسة المستشرق الفرنسي"سيلفيستردوساسي" الذي انتقد الأدباء في عدم تمثلهم الجيد لمقامات الحريري من حيث قصر المقامات،وضعف التصوير في الحكايات،واعتماد التشخيص اليوناني، مع الإشارة إلى أن المقامات العربية اهتمت بجودة الأسلوب أكثر، وفي المقابل أهملت القصص الأوروبية الاهتمامبالأسلوب«وظلت المساحة العربية استلهامًا لبعض الروايات التي يمكن تسميتها برواية المغامرات،وبالتالي فهي أقرب إلى الإنتاج السينمائي أو التلفزيوني،إنها تلك الحكايات أو القصص،التي يمتزج فيها الحب بالجنس والخمر والتغريب من خلال مزيج غير محدد المعالم ،قصص تخضع لسيطرة العادي،ولاتضيف شيئًا إلى الفن الروائي».

اقتبس الأدباء من القصص العربية بعض المواضيع،ومع الإشارة إلى بساطة السرد في فن المقامات العربية بمقارنته بطريقة السرد في فن الرواية الأوروبية«وماذا عفي أوربا المسيحية من القصص المستقى من أصول عربية،وتدل الدلائل كلها

على أن المؤلف كُتب باللغة العربية أولًا ثم ترجمة بنفسه إلى اللاتينية؛ لأن الأسلوب،وبناء الجملة حمل خصائص العربية ونسقها في وضوح،وهو مجموعة من القصص العربية القصيرة».

استلهمت القصص الأوروبية خصائص السرد في القصة العربية، ومنها الأسلوب العربي المسترسل مع اقتباس بعض الموضوعات الاجتماعية .

2- أثر فن المقامات العربية في قصص الشطار الإسبانية:

تأثرت قصص الشطار الإسبانية في نشأتها وتطورها بالمقامات العربية « وتوفرت وجوه شبه قوية بين قصص الشطار الإسبانية والمقامات العربية كما نعلمها عند بديع الزمان الهمذاني ثم الحريري».

تعد قصص الشطار أهم قصص إسبانية، ومعنى كلمة شاطر في الثقافة الإسبانية يختلف عن مدلوله في الثقافة العربية فالشاطر في اللغة العربية«هو الشخص المتصف بالدهاءوالخيانة،وجمع شطار».

وفي تراثنا العربي ظهر ماعُرف بقصص الصعاليك،وأما تسمية الشطار فهي تسمية قدحية تُطلق علىشخصيات تؤثر سلبًا في المجتمع«ومن الأنماط القصصية الشائعة في الآداب العالمية قصص اللصوص أو حكايات الشطار، وهو نمط احتفى به التراث العربي منذ أمد بعيد،منذ أفرد له الجاحظ رائد الفلكلوريين العرب،وغير الجاحظ كثير».

تعد طبقة اللصوص والصعاليك من الفئات المهمشة في المجتمع العربي،ومع ذلك كان لها نصيب في المواضيع الأدبية فتناولت المقامات العربية تلك الفئة بأسلوب ساخر،وأثرت مواضيع المقامات العربية في الآداب الأوروبية،وخصوصًا في الأدب الاسباني حيث«انتقل النموذج الإنساني في المقامات الحريرية إلى الآداب الأوروبية،فتأثر فيها بظهور نموذج أدبي آخر تطورت به القصة الأوروبية بعد أن وقفت على فن المقامات العربية عن طريق الأدب العربي في إسبانيا،وأثر النموذج الإنساني في مقامات الحريري في الأدب العربي ثم في الأدب الإسباني بعامة،ثم تعاون هذا التأثير كله في ظهور" قصص الشطار"الذي تعد قصصه حياة"لاسايو دي تورمس"نموذجًاله،وسمي نوع هذه القصة بقصص"البيكارسكا"أي "الشطار"نسبة إلى بطلها،الذي كان يُطلق عليه بالإسبانية"البيكار ELPicaro وهونموذج شخصية شيطانية هزلية،والمتأمل لشخصية بطل"لاسايو ديتورمس" يجدأنهالاتخرج في سماتها الجوهريةعن النموذج الإنساني الذي اختاره"الحريري"بطلًا لمقاماته ماأكد على التأثير العربي العميق في الآداب الأوروبية».

كانت مقامات الحريري النموذج الأمثل في الاحتذاء لدى الأدباء الإسبان،وتعد قصص البيكار نواة القصة الإسبانية الحديثة ،التي عُرفت بتسمية قصص الشطار، وتدور أحداثها القصصية حول شخصية فكاهية تقوم بمغامرات طريفة،وهو نموذج مأخوذ من المقامات العربية وتوارد حضوره في رواية"حياةلاساريو دي تورمس"«وإذا كانت رواية "لاساريو دي تورمس" قد نالت نجاحًا محدودًا على صعيد النشر،فإنها قد كانت على صعيد الأدب ذات أهمية حاسمة،فسلك ماتيو آليمان طريقها،وكتب الكثير من أعماله على هذا النحو،إن هذه القصة التي تحكي سيرة ذاتية لصعلوك قام بخدمة مختلف الأسياد قدأسست لبداية جنس أدبي بكامله،ألاوهو الرواية الصعلوكية أو رواية البيكاريسك،شخصيات واقعية متواضعة في ظل ظروف حقيقية ،وإطار تاريخي معاصر لزمن المؤلف يقوم برسمه برؤية اجتماعية».

تمثلت الجوانب المشتركة بين المقامات العربية وقصص الشطار في الموضوع الاجتماعي،الذي سلط الضوء على شخصيات مهمشة في المجتمع،وطريقة السرد التي اعتمدت على الفكاهة والسخرية،وفي سياق متصل ضرب د.غنيمي هلال الكثير من الأمثلة لاقتباس "قصص الشطار"من أدب المقامات،ووضح صلات قوية بين أقاصيص "كريتيانتروا" و"سانبدروا"

و"جارثياورودونيس"وبين أقاصيص الفروسية والحب العذري والمقامات العربية،وعقد مقارنة هامة بين المقامات البشرية،وبين قصة لانسيلو"الفارس ذو العربة"إذ يلاقي البطل محنًا متوالية في تخليص حبيبته من السجن».

ظهرت آثار مقامات الحريري في قصص"كريتيانتروا"و"سانبدروا"و "جارثياورودونيس"و"لانسيلو"التي أخذت منحى المغامرة وشكلت مواضيع الفروسية،والحب والمغامرة القاسم المشترك بين المقامات العربية و"قصص الشطار"والملاحظ أن البطل في المقامة العربية يُجسَد في صورة سلبية مقيتة،لكونه يحتال على الناس بالمكيدة،ولكن البطل في قصص البيكار على العكس من ذلك فهو شجاع وماهر،ومخلص لأهله من المحن،ويُجسد في صورة إيجابية بأنه بطل مغامر، وصحيح أن نموذج البطل مقتبس من مقامات الحريري،ولكنه في المفهوم الإسباني بطل نموذجي«ولم ينس د غنيمي هلال المقامات في مطافه،حيث عقد مقارنة هامة بين "المقامة البشرية" ذات القصيدة المشهورة للبديع الزمان الهمذاني:

أفاطمُ لو شهدت ببطن خبت وقَدْ لاقى الهزبر أخاك بشرَا

إذن لشهدت ليثًا أمَّ ليثًا هزبـرًا أغلـب لاقى هزبـرا

وبين قصة لانسيلو "الفارس ذو العربة"إذ يلاقي البطل محنًا متوالية في تخليص حبيبته من السجن،فيعبر على جسر حاد كنصل السيف فوق نهر...وينتقل منها إلى مصارعة العملاق العنيف"ميليانجان"،كل ذلك ليحوز رضا معبودته الحسناء،وبطل البديع"بشر بن عوانة"من هذا الطراز،فهو يقوم بمغامراته الجنونية ليفوز بحبيبته التي تحجب عنه في قصر أبيها».

برزت روح المغامرة عند بطل قصة"الفارس ذو العربة" للأديب لانسيلو،فهو فارس خاض المعارك من أجل إنقاذ حبيبته وهو مشهد أُخذ من "المقامة البشرية"للهمذاني،فبطلها "بشر بن عوانة "مغامر اجتاز الصعاب لإنقاذ حبيبته،وهنا نرى البطولة المثالية في قصصالفروسية،ومنه فقد أثرت المقامة العربية في الأدب الإسباني،ونسج الأدباء الإسبان على منوالها الكثير من القصص في محاولة منهم محاكاة المقامات العربية في اختيار نموذج بطل المقامة،وتصوير مشاهد المغامرات الشطارية وسبقت المقامات العربية إلى تلك المشاهد«فيرى الحريري في أبي زيد السروجي" رجلًا فصيحًا يائسًا ،ضاق ذرعه بما آلت إليه حاله،يمتهن التسول ويعيش على الاستجداء والتحايل».

جعل الحريري في من بطله "السروجي" نموذجًا في التحايل والمكيدة لكسب رزقه،واتخذ من فصاحة لسانه كوسيلة لإيقاع الناس في مكائده، وعلى سبيل المثال ماذكره الحريري في المقامة الرابعة والأربعون الشتوية « فعلمت أنه السروجي الذي إذا باع انباع،وإذا ملأ الصّاع انصاع ،ولمّا انبلج صباح اليوم ،وهبّ النّوام من النّوم أعلمتهم أنّ الشيخ حين أغشاهم السّبات طلقهم البتات، وركب الناقة وفات، فأخذهم ماقدم وماحدث،ونسوا ماطاب منه بما خبث ثم انشعبنا في كلّ مشعب ، وذهبنا تحت كل كوكب».

نلاحظ إغراق الحريري في الصنعة البديعة واللفظية،مع جزالة ألفاظه وبلاغتها، وهنا نؤكد على ريّادة فن المقامات العربية في طريقة السرد،التي ميزت السرد العربي القديم«ويستشهد د.محمد غنيمي هلال على ذلك برواية في الأدب الإسباني،وقد ظهرت 1554م تحت عنوان "حياةلازاريو دي تورمس وحظوظه ومحنه"وهي لمؤلف مجهول..ومايؤكد تأثير المقامات كجنس أدبي في الأدب الأوروبي يسمى بقصص"الشطار Picarisca وهي قصص تعتبر رد فعل لقصص الرعاة دور المقامات في ازدهار الفن القصصي في أوروبا ،ولن نستطيع أن نتابع صورة اللابطل،الذي يمثل طبعة أوروبية للبطل المراوغ في الأصل العربي؛لأن هذا البطل أصبح ظاهرة عامة في الآداب الأوروبية».

اقتبست قصص"الشطار" صورة البطل العربي، ولكن مفهوم البطولة هو مختلف بين الثقافتين العربية والإسبانية ، ففي

الثقافة العربية يجب أن يكون البطل طيب ذو أخلاق عالية،ولكن في الثقافات الأوروبية لايهم ذلك،ويكفي أن يكون مغامرًا والمقامات من القصص التراثية التي يرى د.سعيد علوش أنها حظيت بالدراسة والبحث من طرف المقارنين«فالمقامات قُوبلت بروايات البيكارسيك،لالتأثرها المباشر فيها،بل لأنها تكون حساسية عربية تركت بصماتها على الرواية الإسبانية».

نرى بوجود المناخ القصصي العربي في الراويات الإسبانية، وتجدر الإشارة إلى أن جميع الروايات التي تنطبق عليها كلمة بيكارسك«تكاد تكون شبه سيرة ذاتي يحكي فيها البطل أحداث حياته وتفاصيلها..في حين لاتتمتع المقامة بهذه الخاصية باستثناء مقامات الحريري الثامنة والأربعون التي تُعرف بالحرامية».

أخذت قصص البيكارسيك موضوعها من مقامات الحريري ، فكانت تلك القصص سيرة ذاتية للبطل،وكذلك ركزت على سرد المواضيع الاجتماعية،وظهر أثر قصص المقامات العربية في الأدب الإسباني في « بعض القصص،التي تدور حول حياة المشردين والصعاليك،وقد لقيت هذه القصص رواجًا كبيرًا في القرن السابع عشر،وكان بطل تلك القصص البيكارونPicaroonأحد أولئك المشردين الذين استخدموا ذكاؤهم في ابتداع الحيل والألاعيب لكسب الرزق،وأما قصص دون كيشوت فقد غلب عليها الطابع الشرقي بمالايدع مجالًا للشك في أن سرفانتير قد تأثر فيها بالأجواء الشرقية».

هناك تشابه في تصوير شخصية البطل بين المقامات العربية وقصص الشطار، فهو بطل مغامر محتال استخدم المكيدة للحصول على المنفعة ،والبطل هو من الطبقة الدونية في المجتمع،وهناك تأكيد على وجود أصداء عربية في قصة إسبانية هنا نتساءل عن ما إذا كان«التقط ثرفانتس القصة العربية من أفواه عامة الأسبان،وكانت أقاصيص الفروسية العربية وحكاياتها ملء وجدانهم، وهو ماإليه أميل، أم أنه التقطها من العرب إبان إقامته في الجزائر».

حمل الشرق العربي تأثيراته الإيجابية إلى الغرب،ومن المحتمل أن يكون الأديب الإسباني سرفانتس أخذ من الثقافة الجزائرية الكثير ،وكل إبداعاته مردها إلى الحكايات العربية«وقد أثرت المقامات العربية كذلك في الأدب الأوروبي تأثيرًا واسعًا متنوع الدلالة فقد غذت هذه المقامات قصص الشطار الإسبانية بنواحيها الفنية وعناصرها ذات الطابع الواقعي ، ثم انتقل التأثير من الأدب الإسباني إلى سواه من الآداب الأوربية».

إن أهم جانب أثرت المقامات العربية في القصص الأوروبي هوالجانب الفني،فعلى سبيل المثال نجد الكثير من الخصائص الفنية لقصص الشطار الإسبانية مستقاة من مقامات الحريري والهمذاني، وكذلك طريقة السرد الاجتماعي، التي اعتمدت على السخرية والفكاهة.

3_التأثيرات العربية الإسلامية في الرواية الموريسكية الإسبانية :

برزت الرواية الموريسكية في الأدب الإسباني كرواية مستحدثة «ولقد كانت قصيرة فترة الإعجاب بالآداب والموضوعة العربية الإسلامية من قبل القصائد الغنائية الشعبية والروايات،إلا أن صورة المسلم العربي،قد كانت موازية لصورة الراعي في القصائد الغنائية،ولم تكن تميز بينهما سوى الثياب والأسماء».

كانت الرواية الموريسكية نتيجة تفاعل بين الثقافتين العربية الإسلامية والإسبانية،وركزت جل اهتمامها على قضايا الطبقة المهمشة في المجتمع الإسباني،واستفادت من التراث السردي العربي «وكانت رواية "ديانا"لخورخ هديمونتيمايور"المطبوعة في بلد الوليد سنة 1562هي واسطة نشر أشهر رواية موريسكية"ابنسراج"كما نشرت ضمن العمل المتنوع"الجرد"1565لأنطونيو دي فيليغاس" ويتذكر"دونكيخوتة"،وهو محطم موجوع،ذلك الفارس العربي"ابن سراج"حين أسره رودريغو دي نارفاريث حاكم "انتقيرا"واقتاده إلى قلعته،فيجيب الكيخوته على جاره لفلاح يبروآلونسو"بالكلمات والعبارات نفسها،التي أجاب بها الأسير ابن

سراج على روديغو دي نارفاريث،وبالطريقة ذاتها التي كان قد قرأ عنها في رواية"ديانا"لخورخ هديمونتيمايور"،وإذا كان دون كيخوتة قد تمثل نفسه في شخصية الشاب ابن سراج،فهذا لأن الأخير هو فارس ذو حسب ونسب،عاشق يفي بكلمته».

إنَّ الرواية الموريسكية هي نتاج تفاعل بين الأدبين الإسباني والعربي،واستلهمت الروايات الإسبانية نموذج الفارس العربي"ابن سراج" عند دون كيخوتة و"لخورخ هديمونتيمايورابل"بلغ الأمر إلى حد تقمص شخصية الفارس من طرف دون كيخوتة،ومنه فإن السردية العربية ألهمت الأدباء الإسبان على محاكاة المقامات العربية من حيث نماذج شخصياتها وتعدد مواضيعها الاجتماعية،وهكذا كانت المقامات العربية سببًا في تطور القصص الإسبانية موضوعًا وأسلوبًا،وجمعت الرواية الموريسكية بين ثقافة المسلمين والمسيحيين الأسبان.

4_أثر المقامات العربية في الأدب الألماني :

امتد أثر فن المقامات العربية إلى القصص الألمانية،فعثر النقاد على علاقة تشابه بين المقامات العربية ورواية أمريكا Amerika للأديب الألماني فرانس كافكاFranzKafka«ورد الكثير من الشبه في شخصية البطل المراوغ عند الحريري وكافكاويقدم الحريري في مقامته الحرامية صورة البطل"أبي زيد السروجي" فقد ذاع أمره بين الناس رآه في مسجد بني حرام بالبصرة يخطب فيعجبه ويسمع الكثير عنه».

اقتبس كافكا نموذج البطل العربي المغامر من مقامات الحريري،فعثرنا على تماثل في شخصية البطل في المقامة الحرامية للحريري،والبطل في رواية أمريكا لكافكا«وتعد رواية أمريكا غير مكتملة بدأ كتابتها فرانس كافكاFranzKafkaعام 1912،وظهرت في عام 1927 وموضوعها حول الابتعاد عن الإله وعن البشر إلى جانب الصراع ،الذي لاينتهي ضد القوى المتسلطة غير المحددة».

ورغم توحد نموذج البطل بين كافكاوالحريري،إلا أن الاهتمامات السياسية غلبت على فكر كافكا بينما الاهتمامات الاجتماعية كانت من نصيب الحريري«ولم يقف كافكا عند الشكل الخارجي لقصص الشطار،التي تقوم على راو يطوف داخل المجتمع،ويرصدعيوبه،ولكنه تنبه إلى جوهر هذا الشكل في نبعه الأصلي،وذكرنا من قبل أن المقامات بجانبها شكلها الخارجي ،تحمل خصائص جوهرية، والفكاهة في هذه الرواية فطرية وتعتمد على أشياء ساذجة،منتزعة من طبيعة هذا الشكل في منابعه الأولى،فبرونيلدا تلقي الماء الساخن على زوجها، وتحطم هداياه».

تجاوز كافكا محاكاة الأسلوب القديم في المقامات العربية،وكذلك أسلوب قصص الشطار،غير أنه حافظ على الطابع الفكاهي في روايته،والفكاهة هي أساس عمل المقامات العربية، وبالإضافة إلى ذلك«وكان المكان في المقامات القديمة مجرد اسم مكان يشير في أحسن وظائفه إلى عنصر الحركة،فالبطل حين ينتقل من دمياط إلى البصرة...ولكن كافكا برؤيته العصرية يجسد جوهر المكان،إن روايته جاءت عن أمريكا،وهويهدف إلى تجسيد هذا العالم الجديد،كانت هذه الرحلة مع البطل المراوغوهو ينتقل من الأدب الفصيح إلى الأدب الشعبي،ومن الأدب العربي إلى الأدب الإنجليزي».

إن المكان في رواية أمريكا له دلالات إيحائية ربطها بالعالم الجديدعلى عكس المكان في مقامات الحريري،فهو مكان مجرد من أي دلالة،فالبصرة مثلًا في المقامة هي مدينة عراقية.

5_أثر المقامات العربية في الأدب الفرنسي:

برز أثر المقامات العربية في السرد الفرنسي في روايات كثيرة منها رواية فرنسية«ظهرت سنة 1622م تحت عنوان

"تاريخ فرانسيون الحقيقي الهازل" لمؤلفها شارل شورل،وراية ظهرت سنة 1616م تحت عنوان"موت الحب" لجونييه،ونحن بصدد متابعة مسيرة البطل المرواغ نحو الآداب الأوروبية».

اقتبست الروايات الفرنسية نموذج البطل المرواغ من المقامة العربية، ولايقتصر الأمر على شارل شورل وجونييه، فهناك أدباء كثر تناولوا موضوع فن المقامات العربية بأسلوب المحاكاة .

نلاحظ أن فن المقامات العربية استهوى الأدباء في أوروبا لكونه فن قريب من عامة الناس،ركز على الطبقات المهمشة في المجتمع ، والأسلوب الساخر في المقامات العربية مكن من سرعة تلقيه لدى القراء.

ثانيًا– أثر القصص على لسان الحيوان في الأدب الغربي الحديث:

شهدت قصص كليلة ودمنة لابن المقفع انتشارًا واسعًا في الآداب الغربية الحديثة،ولقيت قبولًا لدى القراء والأدباء،واقتبس أدباء الغرب قصصهم من العرب «ثم ظهرت الأشعار الهجوية والهزلية والملح والفكاهات مماهو على نسق "كليلة ودمنة" وضروب أمثال لقمان ،وبقية الحكايات المؤلفة على ألسنة الحيوانات، فمن ذلك رومان الثعلب، وأمثال ايزوب، ورومان روز وغير ذلك وقيل للمنظوم من ذلك الأغاني والأقاصيص».

جرى محاكاة قصص كليلة ودمنة لابن المقفع في الشعر والنثر، وحملت تلك القصص طابع الفكاهة والهزل، وهو معروف لدى ابن المقفع .

1– انتشار الخرافة على لسان الحيوان في الأدب الغربي الحديث :

تحيل كلمة الخرافة إلى كل حديث شفهي أو مكتوب،وإلى كل حكاية خرافية،والتخريف هو فن اختراع الحكايا، وماقدم من الشرق"البنجه –تنترا"(القرن الثاني ق.م)المكتوب بالسنسكريتية الذي وصلنا عبر مروية عربية متأخرة نسبيًا لبيدبا(القرن الثامن) واقتباس لاتيني هو كتاب جان دي كابو (القرن الثاني عشر)».

رجعت قصص كليلة ودمنة في أصلها إلى الفيلسوف الهندي بيدبا،ووصلت منها النسخة العربية إلى أوروبا،فكان جان دي كابو من أبرز أدباء اللاتين المتأثرين بها،والقصص على لسان الحيوان من أقدم السرد الخرافي حيث تسلك الشخصيات طابع الرمزية «ومع ذلك لايمكننا تجاهل أن هناك عددًا من الخصائص المشتركة في الحكايا،التي يُطلق عليها عادة الخرافة المثل،الحضور الحيواني،الميزة الخيالية والرمزية للحكاية،المغزى الحكمي والتعليمي،وجود شخصية ماكرة تعرف كيف تتخلص من المأزق بوساطة الحيلة والخداع».

اشتركت القصص على لسان الحيوان مع الحكايات الخرافية في سمات منها الرمزية والخيال والهدف التعليمي،مع وجود شخصية محتالة،وساعدت الترجمات الإسبانية للقصص العربية على تأثر الأدباء الأسبانبها،وغيرهم من الأوروبيين وتقليدها على نحو جمالي وفني .

2_أثر ترجمة كليلة ودمنة في الآداب الغربية :

مماهو معلوم أن جذور معظم القصص الأوروبية على لسان الحيوان هي عربية الأصل رجعت إلى حكايات كليلة ودمنة لابن المقفع وتجدر الإشارة إلى أن« ألفرنسو الحكيم عام1261أمر بأن يترجم كليلة ودمنة إلى القشتالية..وقد اشتهر من بين هذه الحكايات حكاية "الثعلب رينالد"التي نقلت من اللاتينية إلى الألمانية ثم إلى الفرنسية،وأدق نظم لهذه الحكاية،بل أبلغها تأثيرًا في النفس تلك المنظومة التي ألفها "جوتة" شاعر الألمان».

كانت قصص الحيوان العربية صدى للكثير من القصص الحيوان الأوروبية، وحصل ترجمتها إلى اللغة القشتالية في البدايات، والقشتالية هي اللغة الاسبانية القديمة محل اهتمام الأدباء«وقد سافرت النسخة العربية لكليلة ودمنة المقفعية إلى الأندلس، فيما سافر من كنوز اللغة العربية،وقد ثبت أنها تُرجمت إلى اللغة القشتاليةسنة1261،فإذا ظهرت بعد ذلك قصص(الفابليو) وانتشرت في فرنسا انتشارًا جعلها على كل لسان،وكان بينها ماأُخذ نصًّا من كليلة ودمنة،فذلك دليل على تأثير الكتاب في الأدب الفرنسي».

من النتائج الإيجابية في التأثر بقصص كليلة ودمنة لابن المقفع هو ظهور قصص"الفابليو"الإسبانية، وهي بدورها أثرت في الأدباء«وسافرت الترجمة الإسبانية لقصص كليلة ودمنة إلى ألمانيا فتأثر بها الشاعر الألماني"جوتة "وفي فرنسا نجد لافونتين حاول محاكاتها».

أثرت قصص كليلة ودمنة لابن المقفع في الأدب القصصي الحيواني الأوروبي، فنجد حضور أثرها في قصص "جوتة " و"لافونتين"ونلاحظ أن غرابة الموضوع المتناول في قصص"كليلة ودمنة" مما جعل الأدباء يتهافتون عليها«وكان كتاب كليلة ودمنة من كتب الشرق الذي حمل إلى الغرب دفء الفكر وحرارة العقل ليضيف إلى أدب القرون الوسطى مكنوزًا جديدًا يؤثر في فنهم الأدبي،وأول ترجمة في أوروبا ترجمة في أوروبا ظهرت لكتاب كليلة ودمنة باللغة اللاتينيةعام1270م نقلها عن العبرية جان دي كابو Jean de Capoue وزاد اهتمام الأدباء الإسبان في تأليف قصص الحيوان في العصر الحديث،فاهتم الشاعر الإسباني"خوان رامون خمينيث" بالحيوان في كتابه"أنا وحماري"ونال شهرة واسعة وعُثر فيه على اقتباسات من كليلة ودمنة لابن المقفع في هذا العمل الأدبي».

انتشرت الترجمة الإسبانية لقصص على لسان الحيوانات في الآداب الأوروبية،فتلقفها بشغف كبير الشاعر الألماني "جوتة" والأديب الفرنسي لافونتين، والكثير من الأدباء حاولوا تقليدها«وأما انتشار نصائح كليلة ودمنة في الوسائط المسيحية فأنبَهُ من أن يُشار إليه،فقد صار المثل المحتذى في كُتب الحكم والأمثال،وحاكاه "دون خوان مانويل"و"أرثيرست دي هيتا"حتى جاء لافونتين،فأحسن استغلاله بصورة واضحة».

ساعدت قصص كليلة ودمنة الأدباء المسيحيين على توجيه الموعظة الدينية في قالب فكاهي رمزي،فخاصية المثل والحكمة في القصص على لسان الحيوانات مكنت الأدباء من غاياتهم التربوية والدينية .

3- أثر قصص كليلة ودمنة في الأدب الفرنسي :

انتشر أثر قصص الحيوان العربية في الأدب الفرنسي«فعن طريق المسلمين وصلت قصص كليلة ودمنة إلى أوروبا،ومنها اقتبس لافونتين الفرنسي كثيرًا من أساطير».

حاول "لافونتين"محاكاة قصص الحيوان العربية،واستخدم رموزها الأسطورية لغايات تعليمية وجمالية فنذكر على سبيل المثال أن تأثر لافونتين بكتاب كليلة ودمنة لابن المقفع ظهر في مقدرته على « أن يعيد الحياة لأدب الحيوان بكل أبعادهويبعثه حيًا مقتفيًا دون تقليد مدرستين...ومن هاتين المدرستين استلهم لافونتين أصالة حملت هذا الفن إلى تحديد عملي وذوقي جمع في جوانبه أهدافه،ومن المؤكد أن الشاعر الفرنسي لافونتين كان قد اطلع على ترجمة فرنسية لهذه الترجمة"أنوار سهيلي"فأعجب بها وصادفت هوى في نفسه،فقدكان لافونتين شغوفًا بطباع الحيوان،ودراسة أحواله وعاداته،واتخذ "لافونتين"بعض أقاصيصه وسيلة للنقد الاجتماعي،فوازن بين بعض نماذج الحيوان،واستخدام عنصر الحيوان كبطل لهذه القصص، فإنه حمل كتاب كليلة ودمنة في طياته تفاعلات رمزية تكسب الذهن الإنساني».

إن تأثر لافونتين بأسلوب السرد عند ابن المقفع واضح في تأليفه لقصص مماثلة،واقتبس منه التعبير الرمزي،واتخذ من قصصه على لسان الحيوانات كوسيلة لمعالجة سلوكيات المجتمع الفرنسي،ونقدها بطريقة إيحائية رمزية«وإن تكتيك الأسلوب وصفاته الخاصة لدى الأديبين لافونتين وابن المقفع تطلب لونين من الملاحظات،فعلى مستوى تطور الحكاية نجد أن من السهل المقابلة هنا بين نمط كلاسيكي للحكاية، وآخر أكثر دقة حيث التجنيح ،والمفاجأة الشعرية والخيال المبدع».

كان سرد القصص على لسان الحيوان أكثر نضجًا عند لافونتين،وتمثل ذلك في توظيفه للخيال الجامح،واكتمال القصة لديه وحضور عنصر المفاجأة الشعرية في حين قصر خيال ابن المقفع،ومع ذلك فقد توافق لافونتين مع ابن المقفع في توجيه نقد هادف للمجتمع«وكان لافونتين ختم بعض أقاصيصه بنقد المجتمع،الذي عاش فيه».

نلاحظ وجود علاقة تأثير المتبادلة بين قصص الحيوان العربية عند ابن المقفع،وقصص الحيوان الغربية الذي مثله لافونتين في طريقة السرد القصصيالهادفة إلى إصلاح المجتمع وتقويم سلوك الأفراد«وحرص لافونتين على تصوير الشخصيات حية قوية في أدق صفاتها المثيرة للفكرة،كما حرص على تطوير هذه الشخصيات نفسيًا على حسب الحدث في الحكاية في شكل درامي يهيئ لافونتين مجال الحديث فيه بالوصف المتصل بالحدث،وتأثيره في حال شخصياته الرمزية».

اهتم لافونتين بتطوير الحدث القصصي على نحو درامي،ومكنه الوصف الدقيق للشخصيات من تحديد ملامحها النفسية والفنية،وإن لافونتين اتخذ من بعض أقاصيصه وسيلة للسخرية من بعض سلوكات المجتمع«وفي أقصوصة الحمار الذي لبس جلد الأسد يتهكم بتلك الشخصيات العاجزة التي تدعي القدرة والقوة، حيث قال لافونتين:

وفي فرنسا قام جم عدد ** يجلبون بغية التمجد

بهم يليق مثل لم يبعد** عنهم فهم إن تلبهم لم تحمد

وإن يرعك بأسهم ذو السؤدد ** فجله لموكب محتشد».

نلاحظ أن لافونتين كان أكثر دقة في تصوير الشخصية الحيوانية،وازداد اهتمام لافونتين بالقصص الحيواني العربي فصدرت كل مؤلفات لافونتين عن طريق احتكاكه بقصص كليلة ومنة لابن المقفع،وتجدر الإشارة إلى أنه «نشأ جنس الحكاية على لسان الحيوان في الآداب الغربية نثرًا ثم سرعان ما صار شعرًا ،وغلب طابع الشعر عليه، ونلحظ في حكايات كليلة ودمنة أنه غالبًا ماينسى المؤلف فيها الرموز، فيطيل الحديث عن المرموز إليهم ،وإلى هذه القاعدة الفنية العامة أضاف لافونتين في نقده ونظمه قواعد أخرى دقيقة،وقد حرص لافونتين على تصوير الشخصيات حية قوية في أدق صفاتها المثيرة للفكرة ،وعلى تطوير هذه الشخصيات على حسب الحدث في شكل درامي».

كان أسلوب ابن المقفع في السرد بسيط حاول فيه تقديم شخصيات نموذجية ،وصير الحكايات على لسان الحيوان،وتأثربه لافونتين في طريقة تصوير الشخصيات متبعًا الأسلوب الدرامي،وظهرت سخرية لافونتين في قصته الحيوانية"الحمار في جلد الأسد في قوله":لبس الحمار جلد الأسد

ولم يبق أحد لم يُخدع به،

وإذا بهذا الحيوان التافه

يُرعب أهل الريف جميعًا ،

إلى أن شاء سوء الطالع له

إن برزت من لُبدة الأسد

أذن الحمار الطويلة

وأدرك المخدوعون كم كانوا مخطئين».

هنا رمز لافونتين بالحمار إلى كل شخص يُنكر أصله،وليس لديه ثقة في نفسه،وكيف يُخدع الناس في أمثال تلك الشخصيات،ورجعت حكايات لافونتين الخرافية إلى المصادر العربية،وبخاصة من كتاب كليلة ودمنة «لقد أفرغ تلك الموضوعات في قوالب متنوعة كالقصة أو التمثيلية أو مايجعل منها موقفًا نقديًا ،أو تصوير للحيوان والإنسان والطبيعة، وافتن في كتابها،فاستخدم أسلوبًا رشيقًا مركزًا ،وأوزانًا كبيرة متنوعة،معتمدًا على ثرائه اللغوي الواسع ،وأما الدرس الأخلاقي فقد وفاه لافونيين حقه، بل إنه جدد في استخلاصه وفي عرضه».

تشابه لافونيين مع ابن المقفع في الموقف النقدي من تلك الشخصيات الرمزية،وتوجيه النصح والإرشاد من وراء السرد على لسان الحيوانات،وذكر ابن المقفع قصة في باب الأسد والثور حيث قال:«إن من لايسمع القول النافع من أصدقائه يُصيبه ماأصاب السلحفاة ،قال:وكيف ذلك؟ قالت :زعموا أن عينًا كان فيها بطتان وسُلحفاة ..ثم إن العين نقص ماؤها ،فلما رأت البطتان ذلك قالت: إنه لينبغي لنا أن تركُ مانحن فيه والتحول إلى غيره ،قالت السلحفاة: احتالا لي وأذهبا بي معكما فقالتا :لا نستطيع أن نفعل ذلك بك حتى تشترطي لنا أننا إذا حملناك فرآك أحدٌ فذكرك ألَّا تجيبيه؛ فقالت:نعم، ولكن كيف السبيل إلى ما ذكرتما؟ فقالتا :تَعَضِّين على وسَط عُود، وتأخذُ كل واحدةٍ منَّا بطرفه، فرضيت بذلك وطارا بها، فرآها الناس فقال بعضهم لبعضٍ :انظروا إلى العجب، سلحفاة بين بطتين تطيران بها في الهواء، فلمَّا سمعت ذلك قالت :رغمٌ لأنفكم،فلما فتحت فاها بالمنطق، ووقعت إلى الأرض فماتت».

سردت القصة أحداث ذات دلالة اجتماعية وأخلاقية،حيث صير ابن المقفع الحكمة والنصيحة في القصة،ومنها شخصية السلحفاة التي رمزت إلى الشخص الذي لايسمع النصيحة،وهنا نرى شخصية سلبية بعكس تصويرلافونتين للسلحفاة ،فهي شخصية إيجابية،وفي قصة خرافة "السلحفاة والأرنب" قال لافونتين :

le lièvre et la Tortue

Rien ne sert de courir ;il faut partir à point ;
le lièvre et la tortue en sont un témoignage
Gageons ,dit celle-ci, que vous n`atteindrez point
Sitôt que moi ce but –Sitôt?Etes-vous sage?
Et leur arpenter les landes
Ayant dis-je,dit temps de rest pour brouter ,
pour dermir et pour écouter ..... ».

إلى آخر القصة التي سردت خرافة "السلحفاة والأرنب" في قالب رمزي هزلي مضحك ،و هو أسلوب شكل أساس السرد في القصص على لسان الحيوان ، ويعرب الشاعر محمد عثمان جلال هذه الخرافة فيقول : السلحفاة والأرنب

حكاية ترجمتها بالعربي** في سلحفا تسابقت مع أرنب
وحددا حدا على سفح الجبل ** وجعلا جعلا لأول وصل
فاستغرق الأرنب نومًا واتكل على قوى سرعته فمااتصل
والسلحفاة داومت في الجد **فوصلت إلى أصول الحد
ومذ صحا الأرنب جاء يسعى ***رأى هناك السلحفاة ترعى»

هنا رمز لافونتين إلى السلحفاة للشخص الصابر والرزين ،ورمز إلى الأرنب للشخص المغرور والمتسرع،ودائمًا الحكايات على لسان الحيوان تدور أحداثها القصصية بين شخص موجب والآخر سلبي ،أو بتعبير آخر شخص خير والآخر شرير .

4- أثر قصص كليلة ودمنة في الأدب الإسباني :

أثرت قصص كليلة ودمنة لابن المقفع في الأدب الإسباني، فقد سافرت النسخة العربية لكليلة ودمنة المقفعية إلى الأندلس، فيما سافر من كنوز اللغة العربية،وقد ثبت أنها تُرجمت إلى اللغة القشتالية سنة 1261،فإذا ظهرت بعد ذلك قصص (الفابليو) وانتشرت في فرنسا انتشارًا جعلها على كل لسان »

أثرتقصص كليلة ودمنة لابن المقفع بصورة مباشرة في نشأة قصص الفابليو الإسبانية «وكان كتاب كليلة ودمنة من كتب الشرق الذي حمل إلى الغرب دفء الفكر وحرارة العقل ليضيف إلى أدب القرون الوسطى مكنوزًا جديدًا يؤثر في فنهم الأدبي ،وأول ترجمة في أوروبا ترجمة في أوروبا ظهرت لكتاب كليلة ودمنة باللغة اللاتينية عام 1270م نقلها عن العبرية جان دي كابو Jean de Capoue » .

زاد اهتمام الأدباء الإسبان في تأليف قصص الحيوان،فاهتم الشاعر الاسباني "خوان رامون خمينيث" بالحيوان في كتابه"أناوحماري"ونال شهرة واسعة وعُثر فيه على اقتباسات من كليلة ودمنة لابن المقفع في هذا العمل الأدبي،وعثر النقاد على آثار السردية العربية القديمة في الأدب الإسباني،حيث تم اكتشاف المصادر العربية،فيالبيكارسيك وقصص الحيوان الغربية،ونذكر من القصص العربية"كليلة ودمنة"«وترجمتها إلى الإسبانية في عهد ألفونس لوساج ورحلات السندباد المترجمة من العبرية إلى اللاتينية،كما ترجم اليهودي"بدورألفونسو"إلى اللاتينية قصة تحت عنوان "التنظيم الإكليريكي" ويعود أصل أربع قصص من مجموعته من وجهة نظر جوزيف بدييز إلى العرب ويؤكد"باسيت"Bassetفي ألف حكاية وحكاية ،قصص وخرافات،وكما ألف خوان مانويل خمسين قصة ذات أصل عربي تركت صدى عند بوكاشورايموندا لول، وكذا عند لافونتين».

توالت الترجمات الغربية لقصص"كليلةودمنة" لابن المقفع،ونذكر من أبرز الترجمات"باسيت"فينصه"ألف حكاية وحكاية" وكذلك ألف خوان مانويل خمسين قصة في مجال القصص الحيواني،ومع كثرة محاكاة الأدباء الأسبان لقصص العربية«إلا أن الاختلاف هو في طبيعة نوع الحكائي ومضامينه التي يزعم أنها شرقية، وتصبح إسبانيا مركزًا تتوزع وتنطلق منه التأثيرات العربية عبر كليلة ودمنة وكتاب السندباد وفلسفة الشرق والإغريق لتخترق أوروبا».

كانت إسبانيا ملتقى تنوع الثقافات الإنسانية،فظهرت في الأدب الإسباني معظم التأثيرات القصصية العربية الإسلاميةالتي حاول الأدباء الإسبان تكييفها وفق في أدبهم ثقافتهم المسحية الغربية .

ثالثًا-أثر السرد الفلسفي العربي في الأدب الغربي الحديث :

تعد قصة "حي بن يقظان"من أبرز القصص الفلسفية العربية المكتملة فنيًا ، وقد تأثر بأسلوبها السردي العديد من الأدباء الغربيين ،وسنحاول التوقف عند محاولات بعضهم في احتذاء نموذج قصة "حي بن يقظان" :

1-أثر قصة حي بن يقظان في الأدب الاسباني" :

تعد قصة"حي بن يقظان"لابن طفيل أهم قصة فلسفية عربية،وفي سياق متصل يرى بعض النقاد «تشابهًا للقصة التي ألفها الكاتب الإسباني بلناسارجراتيان(1601-1658)وهي في ثلاثة أجزاء يتشابه الجزء الأول منها تشابهًا قريبًا بقصة حي بن يقظان،وعُرفت قصة حي بن يقظان في أوروبا،ولقيت حظًّا رائعًا لدى فلاسفتها،وخصوصًا في القرن الثامن عشر ثم التاسع عشرثم يرى تأثر "جراثيان"بابن طفيل بالأسطورة واضح،ويعلل ذلك بأن شبه قصة جراثيانبلنارسار"بقصة حي لاينحصر في القالب القصصي العام،ولكن يبدو كذلك واضحًا في الطابع الرمزي،فهذه الميزة هي جوهر ابن طفيل».

اقتبس"بلناسارجراتيان" الأسلوب الرمزي من قصة "حي بن يقظان"لابنطفيل،فتحول "حي بن يقظان" إلى بطل أسطوري رمزي في السردية العربية ،وحاول الأدباء الأسبان تقمص نموذج هذا البطل بأسلوب فني «وحين عرفت قصة حي بن يقظان لابن طفيل في أوروبا ،لقيت حظًا رائعًا لدى فلاسفتها ،وخصوصًا في القرن الثامن عشر ثم التاسع عشر».

اهتم الفلاسفة بقصة "حي بن يقظان"، فتلك القصة حملت دلالات فلسفية ، وكانت في قالب قصصي رمزي .

2-أثر قصة حي بن يقظان في الأدب الانجليزي" :

أثر نموذج البطل"حي بن يقظان" لابن طفيل في قصة روبنسون كروزوللأديب الانجليزي دانييل ديفو،وظهرت أوجه التشابه بين القصتين العربية والإنجليزية على صعيد عدة مستويات .

أ_مقارنة بين قصتي ابن طفيل ودانييل ديفو :

عندمانعقد مقارنة بين قصتي حي بن يقظان وروبنسون كروزو نعثر على أوجه توافق كثيرة،ومنها:

أ_التشابه بين حي بن يقظان وروبنسون كروزو:

ظهر تأثيرقصة"حي بن يقظان"لابن طفيل في قصة "روبنسون كروزو"لدانييل ديف"«ولوتأملانا الفضاء المكاني لكلا الروايتين لاحظنا تشابهًا كبيرًا،فنجد لقاء في تركيز القصتين على شخصية رئيسية واحدة تعيش ظروفًا متشابهة(العزلة)وتبدو الشخصية الثانوية في كلاالقصتين شخصية طارئة(آبسال/جمعة)تأتي إلى جزيرة بعد استقرار الشخصية الرئيسية،ونلمح في كلا القصتين الغاية التعليمية،فابن طفيل يريد أن يدلل على وجود الله باستخدام العقل والحدس،وأما دانييل ديفو فكانت غايته تربوية».

تقاطعت قصة"روبنسون كروزو"لدانييل ديفو"مع قصة حي بن يقظان"لابن طفيل في الفضاء المكاني،الذي تمثل في الجزيرة المعزولة التي عاش فيها البطلين،ورافقت المأساة البطلين حي بن يقظان"و"روبنسونكروزو"،وجرى التركيز على بطل أساسي في القصتين،وتوحد كل من ابن طفيل مع "دانييل ديفو" في الغاية الأخلاقية،وابن طفيل اتخذ سبيل العقل لإثبات وحدانية الله وغايت هكانت دينية محضة،وأما دانييل ديفو فغايته تعليمية،وأثرت قصة حي بن يقظان في روبنسون كروزو لدانييل ديفو في الناحية الجمالية «وتكاد تنحصر جمالية حي بن يقظان لابن طفيل تنحصر في الجزء الأول(ولادته ونشأته ولقاءه بأبسال)ويبدو لنا مشهد اللقاء مشهدًاسرديًا جميلًا بكل المقاييس الفنية، صحيح أن بداية القصة وخاتمتها تمتعت بقدرات جمالية في السر،ولكن صلب القصة التي تتحدث عن معاناة "حي" الروحية إثر وفاة أمه بدت أشبه برحلة صوفية علمية ».

حدث تصوير مشهد لقاء البطل حي مع أبسال في طابع جمالي،بالإضافة إلى تقنيات سردية،وتحدث ابن طفيل في قصته حي بن يقظان عن فلسفته،وكذلك كان "روبنسون كروز"وهو شاب في العشرين من عمره اقتصرت أحلامه على في السفر والمغامرة،ومنه توافق ابن طفيل مع دانييل ديفو في التوجه الفلسفي للسرد،وطرح أفكار فلسفية من وراء أحداث قصتيهما.

ب-الاختلاف بين حي بن يقظان لابن طفيل وروبنسون كروزو لدانييل ديفو:

ومن أبرز الاختلافات بينابن طفيل ودانييل ديفو نذكر« دخول روبنسون كروزو الجزيرة النائية شابًا،قد تكوَّن وتأصلت عاداته،وأما"حي" فقد بدأ حياته فيها رضيعًا».

ظهر الاختلاف بين البطلين من حيث الولادة والنشأة،فالبطل روبنسون كروزكان يافعًا عندما بدأ مغامراته،فعلى حد قوله:« وهي أمنية واحدة طالما تمنيتها،ورغبة شديدة،طالما وددتُ تحقيقها،فقد شُغفتُ بالسياحة،ورُكوب البحار».

إن البطل روبنسون كروزو مولع بالمغامرة،وحب السياحة،ورحلته كانت عادية فعلى حد قوله:«وماأنس لاأنسَ –ماحييتُ– هذه الرحلة البرية المخيفة ،التي أنستني أهوالها أهوالَ البحرِ».

كانت رحلة البطل روبنسون كروزو طبيعية مثل أي رحلة بشرية،ولكنرحلة "حي بن يقظان" عجيبة مليئة بالمغامراتوتمثل الاختلاف بين حي بن يقظان لابن طفيل وروبنسون كروزو لدانييل ديفو في أن شخصية "حي"هي شخصية فيلسوف يتأمل الكون ليفهم أسراره في حين وجدنا"روبنسون"إنسانًا عاديًا أقصى طموحاته تلبية حاجاته الماديةونلاحظ أن القصة لدى ابن طفيل مازالت بدائية،رغم الإنجازات السردية التي لحظناها إذ لانجد غالبًا سردًا متصلًا أو بشخصية معينة خاصة...فقد امتلأت القصة بالاستطرادات الفلسفية، فأصبحت أشبه ماتكون بمقال فلسفي في أغلب الأحيان في حين بدَا السرد القصصي في" روبنسون كروزو"متقنًا يكاد يخلو من الترهل الاستطراد، فالحدث مشوق يتطور عبر حبكة متماسكة».

جعل ابن طفيل من "حي بن يقظان" كشخص فيلسوف له تأملات فكرية ودينية،وأما دانييل ديفو فبطله روبنسون كروزو هو إنسان عادي عاش حياة بسيطة،ونلاحظ وجود «مؤثر إسلامي آخر في قصة "روبنسون كروزو"وهو ألف ليلة وليلة،إذ لابد أن ديفو قد اطلع على ترجمة (غالان)لألف ليلة وليلة يلاحظ المرء أن معاناة روبنسون تشبه معاناة السندباد البحري خاصة في بداية الرحلة البحرية ،حيث تحطمت السفينة،وبقي حيًا دون سائر الركاب،فعاش في جزيرة نائية وحيدًا».

تعد قصة "حي بن يقظان" لابن طفيلمن أهم القصص الفلسفي، التي ظهرت في العصور الوسطى في نظر كثير من النقاد ، فهي رائدة في مجال إعمال الفكر والجدل الفلسفي «والأساس الذي تقوم عليه قصة حي بن يقظان هو الطريق الذي سلكه فلاسفة المسلمين في العصر الوسيط ممن نهجوا مذهب الأفلاطونية الحديثة ،وقد صوَّر ابن يقظان الإنسان ،وهو رمز العقل في صورة حي بن يقظان،واليقظان هو الله ، ويُظن أن الأب اليسوعي الإسباني بلتسارجراسيان ألف كتابه "الناقد" متأثرًا بها للتشابه الشديد بينهما».

كان حي بن يقظان شخصية رمزية عبَّرابن طفيلمن خلالها عن أهمية العقل في التعرف على الوجود،وبهذا الفهم تأثر الإسباني بلتسارجراسيان في كتاباته « جوتييه ودي بور وأرنتس بيكر ووليم كيري اكتشفوا ذلك التشابه التام في الفكرة والشكل والمضمون مما يؤكد نقل دانيي دي فو القصة عن ابن طفيل .

وأخرج الأديب "جان جاك روسو (1712-1778) قصة فلسفية سماها "أميل" بسط فيها رأيه في أساليب التعليم ،معلنًا أن الإنسان خير في طبيعته ودعا إلى الرجوع إلى الطبيعة لتنشئة الإنسان تنشئة صحيحة بعيدة عن القيود الاجتماعية،ورديار كيليج (1865-1936) تكاد شخصية البطل "موجلي"في قصته "كتاب الأدغال" تتطابق مع شخصية حي بن يقظان غير أن

قصة "كبلينج" المنقولة عن قصة "ابن طفيل"خطفت أنظار السينما العالمية ،حيث كان شخصية البطل "سابو"التي تتشابه مع شخصية "حي" ونقل الكاتب الإنجليزي "إدجار بيروفز" شخصية طرزان عن قصة ابن طفيل».

ورد نموذج البطل"حي بن يقظان" في شخصيات مثل: طرزانو"موجلي"روبنسون كروزو"،وماجمع تلك الشخصيات بالبطل"حي بن يقظان " هي صفات مثل البطولة الخارقة والمعاناة وحب الخير للناس.

وفي مجال المقارنة بين السردية العربية القديمة والسردية الغربية نرى بأن وجود «التشابه بين عالمين:عربي وغربيوهو تشابه يضرب في عمق التاريخ،إلا أننا نواجه أنواعًا كان عرب الأندلس جسرًا لانتقالها عبر قوالب ومستنسخات قلصت المسافات والتباعدات المعرفية لتجعل من الأشكال والقضايا مستجدات،تجد استجاباتها في الأنواع الأوروبية،وأكَّد العديد من أعلام الاستشراق على أن سكان أوروبا قد استعاروا من العرب مع قوانين الفروسية احترام المرأة ».

إن محاكاة الآداب الأوربية للسردية العربية القديمة هو أمر طبيعي لماحوته النصوص القصصية العربية من جمالية على مستوىالسرد،وكما أن المضامين الشرقية المرتبطة بتعاليم الإسلام ،ومنها كرم الأخلاق وحقوق المرأة، وفي هذا الصدد

نجد أن هذه المظاهر الاجتماعية صوَّرها السرد العربي القديم بأسلوب سردي وأكسبها خصوصية عربية،وتأثر بها أدباء خصوصًا في إسبانيا التي كانت موطن الأندلس قديمًا،ومكَّن احتكاك العرب من حصول نوع من التفاعل الثقافي والأدبي ظهر على صعيد الأدب العربي،وفي النصوص السردية والشعرية ذات الطابع القصص، ومنه يمكننا عرض النتائج التالية :«أ–كانت قصص الفروسية العربية فاتحةً لأدب أوروبي جديد

ب–وجهت المقامات العربية القصص الأوروبي وجهة واقعية اجتماعية

ج–ابن طفيل سبق الأدباء العرب إلى الحديث عن التربية والتاريخ البشري، والتأمل الفلسفي،وجذب المفكرين إلى احتذائه ».

كان السرد العربي القديم مصدر محاكاة للسرية الغربية،فتنوع فنون السرد العربي القديم من مقامات وقصص عجائبية وفلسفية أكسبه خصوصية،ونصل إلى تقرير حقيقة مفادها أهميةأثر السردية العربية القديمة في تطور الآداب الغربية بوجه عام«ونتحدث عن دور القصة العربية في إنماء هذا الفن بالأدب الأوروبي، حيث وفدت إليه من جهات مختلفة».

شهد القصص الأوروبي فترة انتعاش على إثر محاكاته للقصص العربية،وتطورت أساليب الأدباء في السرد نتيجة استلهامهم للكثير من تقنيات السردية العربية القديمة.

ولاحظنا بأن الخيط الجامع للنصوص السردية العربية القديمة تمثل في الإطارالسردي والفني ،الذي وردت فيه وجمالية الصياغة السردية،التي حاول كتابها من خلالها التعبير عن رؤاهم الفكرية من خلال طرح مواضيع لها علاقة مباشرة بالأوضاع السياسية والاجتماعية،وشكلت النصوص السردية العربية مصدر إلهام للعديد من الآداب العالمية،وورد الكثير من التشابه بين المدونات السردية العربية والآداب العالمية،واهتم النقاد بإبراز مظاهر تأثر الآداب العالمية بالتراث السردي العربي ،وفي الأخير نصل إلى التأكيد على نتيجة هامة، وهي أنَّ مانراه في حضور التأثير المتبادل في فنون السرد العربية من جهة والآداب الغربية والعالمية من جهة أخرى أكد على وجود جسور تواصل بين الخطابات السردية العربية والغربية على مر العصور الأدبية،ولا أزعم بأنني أحطت بكل ما ورد من موضوعات جماليات السرد العربي القديم .

ومما تقدم من محاضرات لاحظنا أن جماليات السرد العربي القديم ظهرت من خلال أدبيات سردية ميزت أسلوب السرد العربي عن غيره من السرديات ،وكما أن تعدد المضامين من اجتماعية وفلسفية وصوفية وعجائبية ماجعل من النصوص السردية العربية القديمة محط أنظار القراء ومصدر تطلعات الأدباء من شعوب إسلامية وغربية .